

تفسير ابن كثير

هذا خبر من ﷻ تعالى لرسوله صلى ﷻ عليه وسلّم بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم منذ أرقدهم إلى أن بعثهم ﷻ وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان وأنه كان مقداره ثلثمائة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية وهي الثلثمائة سنة بالشمسية فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين فلهذا قال : بعد ثلثمائة وازدادوا تسعا وقوله : { قل ﷻ أعلم بما لبثوا } أي إذا سئلت عن لبثهم وليس عندك علم في ذلك وتوقيف من ﷻ تعالى فلا تتقدم فيه بشيء بل قل في مثل هذا { ﷻ أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض } أي لا يعلم ذلك إلا هو ومن أطلعه عليه من خلقه وهذا الذي قلناه عليه غير واحد من علماء التفسير كمجاهد وغير واحد من السلف والخلف .

وقال قتادة في قوله : { ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين } الآية هذا قول أهل الكتاب وقد رده ﷻ تعالى بقوله : { قل ﷻ أعلم بما لبثوا } قال : وفي قراءة عبد ﷻ وقالوا : { ولبثوا } يعني أنه قاله الناس وهكذا قال كما قال قتادة مطرف بن عبد ﷻ وفي هذا الذي زعمه قتادة نظر فإن الذي بأيدي أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلثمائة سنة من غير تسع يعنون بالشمسية ولو كان ﷻ قد حكى قولهم لما قال : وازدادوا تسعا والظاهر من الآية إنما هو إخبار من ﷻ لا حكاية عنهم وهذا اختيار ابن جرير C ورواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعة ثم هي شاذة بالنسبة إلى قراءة الجمهور فلا يحتج بها وﷻ أعلم .

وقوله : { أبصر به وأسمع } أي أنه لبصير بهم سميع لهم قال ابن جرير : وذلك في معنى المبالغة في المدح كأنه قيل : ما أبصره وأسمعه وتأويل الكلام ما أبصر ﷻ لكل موجود وأسمعه لكل مسموع لا يخفى عليه من ذلك شيء ثم روي عن قتادة في قوله : { أبصر به وأسمع } فلا أحد أبصر من ﷻ ولا أسمع وقال ابن زيد { أبصر به وأسمع } يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم سميعا بصيرا وقوله : { ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا } أي أنه تعالى هو الذي له الخلق والأمر الذي لا معقب لحكمه وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير تعالى وتقدس